د. فايزة محمود صقر(*)

العلاقات الاقتصادية بين مصر وكنعان خلال النصف الأخير من الألف الثانى قبل الميلاد

كان اجتياح شعوب البحر منطقة الشرق الأدنى القديم عاملا هاما فى انهيار الإمبراطوريات الكبرى خلال النصف الأخير من الألف الثانية قبل الميلاد . وقد أدى ذلك إلى تخفيف الضغط الأجنبى على إقليم سوريا وفلسطين وهو الإقليم الذى عرف باسم كنعان مما أدى – بدوره – إلى قيام كيانات محلية فى تلك المنطقة أكثر استقلالا من الكيانات السابقة . وقد أتاح ذلك لشعوب المنطقة فرصة إثبات وجودها ، مما أثر فى الأحداث التى مرت بها ، حتى اضمحلّت الدول الكبرى من كبوتها . وتاريخ العبريين هو من الناحية السياسية فترة متواضعة الشأن ، إذا قورن بتاريخ الإمبراطوريات الكبرى فى الشرق الأدنى قديما ، ولا تصح مقارنته فى الواقع إلا بتاريخ الأقوام المتواضعة الأخرى فى المنطقة نفسها(١) ، ونقوم نحن فى هذا البحث برصد العلاقات السياسية والاقتصادية بين مصر وإقليم كنعان خلال النصف الثانى من الألف الثانية قبل الميلاد ، وهو الأمر الذى يتضح من خلال حملتين عسكريتين مصريتين سجلتهما المصادر التاريخية .

الحملة الأولى قام بها الملك سيا أمون (٩٧٩ – ٩٦٠ ق . م.) ، والحملة الثانية قام بها الملك ششنق الأول (٩٤٥ – ٩٢٤ ق . م .) ، حيث كانت سياسة كلا الملكين تجاه إقليم سوريا وفلسطين خيارا استراتيجيا لا مناص من تحقيقه سواء سلما أم حربا شكل (١) .

---

* – مدرس تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم – كلية الآداب – جامعة الإسكندرية – فرع دمنهور .

ذلك أن بعض الباحثين يعتقد أن عصر الأسرة الحادية والعشرين (١٠٨٥ – ٩٥٠ ق.م.) يعبر عن بداية للتأخر فى أوضاع مصر ربما بسبب الخمول الذى غلب على سياسته وضعف وحدة الحكم الأعلى فيه ، وتقلص النفوذ المصرى خلاله خارج الحدود ، وتوزع السلطة فيه بعض الشئ بين الملوك . ويرى كتشن(٢) أن الفترة الممتدة من عصر الأسرة الحادية والعشرين حتى نهاية الأسرة الخامسة والعشرين تعبر عن عصر انتقال ثالث يتوسط بين العصر الزاهر للأسرة العشرين وبين بداية الأسرة السادسة والعشرين الذى جرى على تسميته باسم العصر الصاوى .

وقد أدت سياسة المسالمة واقتسام المغانم فى عصر الأسرة الحادية والعشرين بين البيتين المالكين فى تانيس وطيبة ، إلى الإبقاء على نظام الحكم الثنائى مائة واثنين وأربعين سنة اتسمت بالفتور والسياسة الانطوائية فى مجملها . ويرجع السبب فى غموض عصر الأسرة الحادية والعشرين إلى قلة ما كشف من آثارها فى صعيد مصر ، ولتحلل أغلب آثاره فى الدلتا بفعل رطوبة الأرض وكثافة طميها وكثرة المجارى المائية . وهكذا ظلت إمكانيات الدولة ومواردها محدودة ، بحيث استعانت فى بعض منشآتها المعمارية بأحجار المبانى القديمة . وانكمشت بر رعمسسو وتانيس إلى نصف مساحتهما السابقة(٣) .

وجدير بالذكر أن تاريخ العلاقة بين مصر وكنعان خلال عصر الأسرة الحادية والعشرين اقتصر على المعلومات التوراتية (الملوك ١١ : ٢١-٢٢) ومؤداها أن القائد اليهودى "يؤاب" كان قد قام – كقائد لقوات داود – بمجزرة بشرية فى " آدوم " أفنى فيها الذكور بحد السيف ولكن أحد أطفال الأسرة المالكة واسمه " هدد " استطاع أن يهرب مع بعض الرفقاء ولجأ إلى مصر حيث احتضنه الملك المصرى ، وتزوج من أخت " تحفنيس " زوجة ملك مصر إذ ذاك ، وولدت أخت " تحفنيس " له ، " جنوبث " ابنه ، وفطمته " تحفنيس " فى وسط بيت فرعون بين بنى فرعون (ملوك أول ١١ : ١٤-٢٢) . وبعد مدة خرج ملك مصر إلى كنعان وهاجم " جازر " وأحرقها وقدمها هدية لابنته التى تزوجها من سليمان مما يدل على أنه توصل بهذه الطريقة إلى جاره ملك فلسطين . شكل (٢) .

وهكذا تتضح سياسة ملوك مصر فى ذلك العصر : فإنهم فى الوقت الذى يظهرون ودهم وتحالفهم مع حكام فلسطين كانوا ينتهزون كل فرصة لتنمية روح الانقسام بين حكامهم وذلك للتدخل بينهم فى الوقت المناسب . وبهذه الوسيلة يمكنهم استرجاع شئ من النفوذ فى تلك

البلاد التى حصلوا عليها ممن سبقوهم ، بحروبهم المظفرة(٤)، ويبدو أن ملوك الأسرة الواحدة والعشرين كانت لديهم الرغبة في إعادة النفوذ المصرى فى آسيا . ومن هؤلاء الملك بسونس الأول حيث تشير ألقاب الملوك إلى الطموح السياسى والعسكرى(٥) .

حملة سيا آمون على فلسطين

جاء فى سفر الملوك – الجزء الأول ، الإصحاح التاسع ، الفقرة ١٦ – أن الملك منح ابنته زوجة للملك سليمان ، وتعاهد الملك سليمان مع الملك المصرى عن طريق المصاهرة ، واصطحب ابنة ملك مصر فى مدينة داود حتى انتهى من بناء منزله ، " منزل الأبدية " وانتهى من بناء المعبد بعد إتمام الزواج الذى من المحتمل أنه تم فى ٩٨٠ ق.م. ويقال أن هذه الأميرة أعطيت مدينة جازر صداق ، ولكن من الصعب معرفة إذا كانت هذه الأحداث قد وقعت أثناء حكم سيا آمون أو إبان حكم خليفته بسونس الثانى ، وقد حكم سيا آمون حوالى ستة عشرة عاما(٦) .

ويرى د. عبد العزيز صالح أن تحالف الملك المصرى مع سليمان كان تحالف الأقوياء ، فبعث جيشه إلى جنوب أرض كنعان حيث استقرت جماعات من شعوب البحر المنافسة لسليمان وسيطرت القوات المصرية على مدينة جازر التى عجز العبرانيون عنها عدة مرات ، ثم جعلها بائنة لابنته التى رضى أن يزوجها لسليمان ، وفى ذلك يعنى ضمنا أن مصر ظلت حتى فى عهود ضعفها أقوى مرات من ملك سليمان الذى تحدثت به الأمثال لما كان عليه ملك أسلافه وجيرانه بطبيعة الحال(٧) .

ويرجح كيتشن أن الملك المصرى الذى زوج ابنته لسليمان هو سيا آمون(٨) بينما يرى د. نجيب ميخائيل أن الملك هو فى الغالب " باسباخع ان نيوت "(٩) .

وجدير بالذكر أنه لدينا شواهد مصرية نستخلص منها زواج المصرى من أجنبية ، إلا أنه فى الغالب لم يكن الأب يرضى أن تتزوج ابنته من أجنبى . ونستخلص من ذلك ما جاء على لسان ملك مصر أمنحتب الثالث – وكان قد تزوج من أكثر من امرأة من البلاد الآسيوية ولكنه دهش حين طلب منه ملك متياني أن يبعث بفتيات مصريات إلى حريمه(١٠) .

وقد عرفت مصر الزواج السياسى كأسلوب من أساليب الدبلوماسية المصرية ولكنه اقتصر على زواج الملك المصرى من أميرات أجنبيات وخاصة خلال الإمبراطورية أو الدولة الحديثة .

ولكن حدث خلال عصر الأسرة الحادية والعشرين والثانية والعشرين أن اختلف الأمر ، إذ عقد زواج أميرات ملكيات على أشخاص من العامة ، بما فيهم غير المصريين ، فالأميرة " تنت سبتاح " ابنة الملك بسونس الثانى تزوجت من الكاهن الأعلى للإله بتاح فى منف ، كما تزوج سيا آمون أو ربما بسونس الثانى ، ابنة ششنق زعيم الما الليبى . كما تزوجت الأميرة " ماعت كارع " ابنة بسونس الثانى من الشاب الليبى أوسركون الذى سيعتلى عرش مصر فى الأسرة الثانية والعشرين باسم أوسركون الأول ابن ششنق الأول . وفى المقابل فإن ملوك الأسرة الثانية والعشرين لم يزوجوا بناتهم من أشخاص لا ينتمون إلى الأسرة الملكية(١١) .

ورغم صعوبة تفسير زواج سليمان من ابنة سيا آمون ، إلا أن القرن العاشر .ق.م. شهد عدة زيجات بين العائلات الملكية وطبقة النبلاء وذلك بغرض تحقيق أهداف اقتصادية وسياسية(١٢). وقد تزوج ششنق الأول من ابنة بسوسنس آخر ملوك الأسرة الحادية والعشرون ، ويبدو أن ششنق لم يقم بثورة للاستيلاء على الحكم بل انتظر حتى وفاة آخر ملوك الأسرة الحادية والعشرين واستولى على العرش فى تانيس ، وعلى ذلك فقد قامت الأسرة الثانية والعشرين متخذة من بوباسطة بشرق الدلتا عاصمة لها(١٣) .

ونلاحظ أن النص التوراتى قد ربط بين زواج الملك سليمان من ابنة الملك المصرى وبناء المعبد .

ويرى د. حسن ظاظا أن عدد الصناع الذين اجتمعوا فى أورشليم لينفذوا مشروع سليمان – الذى أوصى به أبوه داود – ضخم جدا يزيد على مائة وخمسين ألف عامل ، والهيكل بناء صغير حسب أوصافه التى وردت فى النصوص (طوله ٣٢ مترا ، وعرضه ١١ مترا وارتفاعه١٦٧ مترا بالتقريب) مما يدعو إلى التساؤل :

هل كانت كل مواد البناء التى أعدها داود ، وهذا العدد الضخم من العمال والفنيين الأجانب مخصصة للهيكل وحده ، أم أن الأمر على ما يذكره (لويس براون) من أن الهيكل لم يظفر من كل هذا إلا بالقدر الأقل بينما الجانب الأكبر خصص لمبان أخرى أقل اتصالا بتمجيد الرب ، منها القصر الملكى لسليمان ، وقصر زوجته ابنة فرعون مصر ، الصروح البديعة والأبنية الحكومية ، المعابد الوثنية التى أقيمت لمن رفضن التهود من النساء الأجنبيات اللاتى تزوجهن سليمان (الملوك الأول ١١)(١٤) .

وجدير بالذكر أن المعابد الوثنية استمرت تقيم طقوس المعبودات القديمة التى عرفتها أرض فلسطين ومنها الإله حورون الذى أشارت الأدلة الأثرية إلى استمرار عبادته فى أرض فلسطين منذ القرن الثانى قبل الميلاد حتى العصر الهلينيسى(١٥) .

ويذهب بعض الباحثين إلى أن سيا آمون كان يخطط لغزو إسرائيل نفسها كما عثر له على آثار فى " تل فرعة " ، وسواء أصح هذا أم لم يصح ، فإن سليمان أدرك بثاقب فكره أن مملكته الصغيرة لن تعيش بالتفاهم مع جيرانها . واقتضت هذه السياسة أن يرتبط برباط المصاهرة مع جيرانه من الأمراء والملوك ، ومن ثم تزوج طبقا لرواية التوراة من بنات أمراء العمونيين والمؤابيين والآراميين والكنعانيين والحيثيين(١٦) ، ثم ساعدته الظروف بأن كانت أحوال مصر وآشور مرتبكة إلى حد كبير ، وأيا كان الأمر ، فقد لجأ سليمان إلى صهره ملك مصر لكى يعطيه منفذا على البحر المتوسط الذى كان يتنازع السيادة على موانيه ، الفينيقيون والفلسطينيون ، ومن ثم نقرأ فى التوراة " أن فرعون قد صعد وأخذ جازر وأحرقها بالنار ، وقتل الكنعانيين الساكنين فى المدينة ، وأعطاها مهرا لابنته امرأة سليمان " ، وأصبحت الأميرة المصرية هى السيدة الأولى فى مملكته أو الزوجة الرئيسية كما كان يطلق عليها(١٧) .

وجدير بالذكر أن أحوال مصر الاقتصادية كانت متدهورة وخاصة فى عاصمة الأسرة الحادية والعشرين (تانيس) التى – بعد أن كانت مركزا لتجارة البحر المتوسط – أضحت لاتمتاز بغير كونها قاعدة الحكم ، وكان ثراؤها من قبل يقوم على قناة بينها وبين البحر ، ولكن تطهير هذه القناة أصابه الإهمال فملأتها الرواسب الطمية ولم يعد أصحاب السفن يدخلون الميناء . ثم ظهر منافسون جدد فى الميدان التجارى وعلى رأسهم سليمان الذى كان حريصا على تلك الأسواق القديمة وغزو أسواق جديدة . ولقد دخلت إسرائيل تحت حكمه – لأول مرة فى تاريخها– فى الميدان التجارى فحرمت مصر من موارد التجارة العربية ، وقد انضم حيرام الصورى إلى سليمان واتفقا على تبادل الفائض ، وكان حيرام فى حاجة إلى الزيت والحبوب ، وسليمان فى حاجة إلى خشب لبنان لبناء أسطوله ، وهكذا سيطر سليمان على محصولات آسيا التى بادلها بمحصولات بلاد العرب وأفريقيا(١٨) .

يتضح من النص التوراتى أن جيوش سيا آمون زحفت إلى جنوب غرب فلسطين واجتاحت مدنها حتى وصلت " جازر " – المقاطعة الكنعانية – التى تقع على الحدود بين فلسطين وإسرائيل ، كما يتضح أن الملك المصرى اجتاح أولا مدينة جازر قبل أن يقدمها دوطة (هدية

زواج) ابنته من الملك سليمان . ومن الواضح أن هذه الحادثة وقعت فى بداية تولى سليمان للعرش ، ربما خلال العقد الأول من عهد سليمان (٩٧٠ – ٩٦٦ ق.م) ، وربما خلال السنوات الأربعة الأولى من عهده وهذا يتطابق مع الغزو المصرى لجازر والمدن الفلسطينية الذى يقع خلال العقد الأخير من عصر الملك المصرى سيا آمون (٩٧٨ – ٩٥٩ ق.م) ، ومن الشواهد الأثرية التى تشير إلى حملة سيا آمون ، يظهر على مبنى متهدم ، أقامه بسونس الأول وسيا آمون فى المنطقة الشرقية للمقابر الملكية وجنوب المعبد الرئيسى للإله آمون فى العاصمة تانيس ، فى هذا النقش يظهر سيا آمون يضرب بمقمعة مجموعة من الأسرى تتسلح بفأس مزدوجة ، وهم ممثلون فى طراز شعوب البحر المتوسط وآسيا الصغرى .

وهذا المنظر يؤكد خروج الملك سيا آمون بالفعل للحرب ضد عناصر شعوب البحر فى فلسطين، وهذا ما يشير إليه الفأس المزدوجة الذى يمثل تقليدا مصريا يحيى ذكرى حملات الملوك المصريين ضد شعوب البحر(١٩) .

وتعد الفأس المزدوجة رمزاً للسلاح الذى كانت تستخدمه شعوب البحر الذين عاشوا فى فلسطين بعد هزيمتهم على أيدى رعمسيس الثالث ، مما يشير إلى أن النقش إنما يخلد ذكرى غزو حقيقى قام به المصريون هناك ، وأن مدينة جازر إنما كانت هى الهدف المقصود ، ولعل هذه المصاهرة وغزو جازر وتقديمها مهرا لابنة الملك المصرى ، إنما كانت أحد الأسباب التى دفعت "برستد" يذهب إلى أن سليمان إنما كان واليا تحت النفوذ المصرى ، كما يرى المؤرخ اليهودى "سيسل روث" ، أن التحالف مع مصر هو الذى مكن دولة سليمان من أن يكون لها موطئ قدم على البحر المتوسط ، الأمر الذى لم يتح لها بغير معاونة الملك المصرى(٢٠) .

وغالبا فإن لوحة تانيس التى تصور الملك سيا آمون وهو يضرب عددا راكعا أمامه قابضا فى يده على فأس للحرب مزودجة ، تسجل غزوة حقيقية قام بها المصريون وأنهم استولوا على مدينة جازر وإذا صح ذلك فسيكون سيا آمون هو الملك المصرى الذى عاصر سليمان(٢١) .

مما سبق يتضح أن العناصر العبرانية قامت بتحسين أوضاعها فى إقليم كنعان بعد مواجهة بعض مدن المنطقة مثل أريحا ولكيش وجازر ، بيد أن المدن الفلسطينية التى استقر أهلوها بالمنطقة وأسسوا كيانات سياسية تحكمت فى اقتصاديات المنطقة ، قد وقفت عقبة كؤود ضد طموح سليمان فى بسط السيطرة التجارية ، وكل منهما منع مصر من الحصول على حاجاتها من المواد الأساسية ، الحبوب من شمال النقب أو النحاس من مناجم تمنة أو

تحصيل الضرائب من بعض هذه المدن على الأقل فى الجزء الكنعانى وكذلك خشب الأرز من بيبولس(٢٢) .

وتعد حملة سيا آمون على فلسطين ثم تحالفه مع سليمان ذات أهداف مزدوجة لأن أغراض سيا آمون من الحملة كانت اقتصادية قبل أن تكون سياسية . فمنذ عصر سمندس والمرحلة الانتقالية ، كانت تانيس مدينة لها علاقات تجارية مع موانئ البحر المتوسط ، تمتلك موانئ تجارية مع سواحل البحر المتوسط (قصة ون آمون) ، فقوات سيا آمون تقوم بإعادة الأمن للمنطقة بغرض القضاء على منافسة المدن الفلسطينية والفينيقية التجارية . ومقاطعة جازر كانت مدينة كنعانية محصنة تقع على الحدود مع مملكة سليمان ، وكان وصول القوات المصرية حتى هذا الموقع مدعاة لوقوع تصادم بين قوات سليمان وقوات سيا آمون ، ولكن كلا الملكين وجدا فى التحالف الاقتصادى فائدة أكثر من الحرب ، لأن التحالف العسكرى والاقتصادى بين سليمان وسيا آمون سيجعل المدن الكنعانية تقع بين شقى الرحى ، فمدينة جازر ليست ذات أهمية خاصة للملك سيا آمون ولكنها تمثل أهمية كبيرة عند الملك سليمان حيث تمثل خطرا على حدوده ، وهنا يحصل عليها سليمان عند زواجه من ابنة سيا آمون ، إذن فقد قامت الحملة وتم التحالف ثم الزواج حوالى عام ٩٦٧ ق.م. واستطاع سيا آمون وقف زحف التنافس التجارى من قبل المدن الفلسطينية ، واكتسب امتيازات اقتصادية فى سوريا وفلسطين ، وسليمان فى نفس الوقت أمن حدوده الجنوبية الغربية مع مصر(٢٣) .

أما ازدهار الأحوال الاقتصادية فى أرض كنعان فقد نشأت عدة مدن تعد مراكز تجارية أخذت تزدهر خلال عصر سليمان وهى :

١- عصيون جابر

تقع بقايا عصيون جابر الآن فى تل الخليفة غربى ميناء العقبة(٢٤) . وقد نشر جلوك Gluek ، فى الفترة ١٩٣٨-١٩٤٠ نتائج الحفائر التى أجراها فى تل الخليفة ، وقد كشفت عن بقايا مصانع النحاس والحديد ترجع إلى القرن العاشر وعصر سليمان . وقد أحسن اختيار المكان ، فقد أقيمت فى موضع تبلغ فيه الرياح على وادى عربة غاية قوتها ، وذلك لكى تؤجج النار اللازمة للتكرير . وكان يؤتى بالنحاس والحديد من مناجم وادى عربة وطور سيناء ويتم التكرير فى عصيون جابر حيث تصنع الأدوات المعدنية المختلفة ، وقد عثر على الكثير منها فى تل الخليفة .

وجدير بالذكر أن العهد القديم لا يذكر شيئا عن هذه المصانع رغم أهميتها(٢٥).

وقد أضاء القرآن الكريم لنا الطريق فى هذا الشأن حينما حدثنا عن النشاط التجارى للملك سليمان فى قوله تعالى :-

" قال رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى إنك أنت الوهاب ، فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب " صدق الله العظيم (سورة ص ، آية ٣٥ ، ٣٦) .

ويتميز عهد سليمان بن داود بتقدم تجارى عظيم ، كفلته السيطرة على الطرق التجارية فى سوريا وفلسطين وعلى الطريق المؤدى إلى البحر الأحمر .

ويرى " موسكاتى " أن رحلته إلى أوفير كانت عملا مشتركا مع الدول الفينيقية البحرية ، كما يعتقد أن أوفير ربما تقع على ساحل الصومال شكل (٤)(٢٦) .

ويتحدث سفر الملوك (١٠) عن اتجاره فى الخيل وعربات الحرب ، ولابد أنه كان محتكرا لهذه التجارة فعلا ، لأن مزاولتها بين مصر وسوريا كانت تعتمد بالطبع على الطرق البرية ، وهذه كلها كانت فى يد سليمان ، والاسطبلات الملكية الكبيرة التى كشف عنها فى مجدّو تؤكد مدى اهتمام سليمان بتربية الخيل(٢٧) .

وقد قام أسطول سليمان من هذا الميناء بعدة بعثات بحرية حول ساحل بلاد العرب وشرقى أفريقيا ، وكان الغرض من هذه البعوث هو إحضار البخور وخشب الصندل والعاج والذهب والأحجار الثمينة فى مقابل النحاس والحديد اللذين كانا يتم تكريرهما فى عصيون جابر ، وهذه المواد كانت ترسل بطريق البحر أو بالقوافل إلى بلاد العرب وغيرها(٢٨) ، وقد أكدت الدلائل الأثرية استخدام الطرق البحرية منذ فترة مبكرة ، ومن تلك الدلائل العثور على جرة تحمل نقشا عربيا فى ميناء عصيون جابر على رأس خليج العقبة ويعود تاريخها إلى القرن السادس ق.م.(٢٩) ، مما قد يشير إلى استيلاء سليمان على تجارة الجزيرة العربية .

وفى جملة ما عثر عليه فى (تل الخليفة) جرتان ، عليهما كتابات بأحرف المسند ، وقد قدر أن تاريخ صنعهما لا يقل عن القرن الثامن قبل الميلاد ، وتدل أحرف المسند هذه على أن صانعيها كانوا يستخدمون هذه الكتابة . وقد يشير هذا إلى التبادل التجارى بين فلسطين والمعينيين الذين كانوا فى العلا وتبوك(٣٠) .

٢- أوفير

اتجه سليمان إلى التجارة مع البلاد الساحلية ، وليستورد منها ما يحتاج العبرانيون إليه ، فأنشأ أسطولا تجاريا فى (عصيون جابر) على خليج العقبة بجانب (أيلة) - (أيلوت) - (ايلات) من أرض آبوم(٣١) .

وقد عرف خليج العقبة بـ (بحر سوف) ، (يم - سوف) فى العبرانية . ولما كان العبرانيون لا يعرفون البحر ، استعان سليمان بـ (حيرام) ملك صور فى تسيير الأسطول وتدريب العبرانيين على ركوب البحر ، فأمده بخبراء من صور تولوا قيادة السفن ، يخدمهم رجال سليمان ، فمخروا البحر حتى وصلوا إلى (أوفير) وأخذوا من هناك ذهبا زنته أربعمائة وعشرون وزنة أتوا بها إلى سليمان(٣٢) .

وقد اختلف الباحثون فى تحديد موقع أوفير ، فيرى البعض أنها فى جنوب غرب شبه الجزيرة العربية(٣٣) ، ويرى البعض أنها على ساحل أريتريا(٣٤) ، بينما يرى آخرون أنها كانت تشمل المنطقتين ، أى أنها كانت تشمل بلاد اليمن والساحل الإفريقى المقابل لها ، ويحدد البعض الآخر موقع أوفير بساحل الصومال ، بينما يرى آخرون إلى مدى أبعد بالقول أنها كانت فى بلاد الهند . فالذين قالوا بأن أوفير فى الهند اعتمدوا على ما ورد فى الكتاب المقدس من أن سفن حيرام وسليمان كانت تقوم بالرحلة إلى أوفير مرة واحدة كل ثلاث سنين ، كما اعتمدوا على أنواع السلع التى ذكرها الكتاب المقدس ، وكانت تجلب من أوفير ومن بينها سلع لا توجد إلا فى الهند منها الطواويس وخشب الصندل . غير أن بعض الباحثين يرون أن كلمة " تكييم" التى تترجم عادة بالطواويس ، محرفة عن " سكيم " بمعنى العبيد ، وبذلك تشير هذه الكلمة إلى سلعة أفريقية(٣٥) .

وقد قام الأستاذ الدكتور يعقوب بكر بعرض الآراء المختلفة حول مكان " أوفير " فقسمها إلى ثلاثة أقسام رئيسية ، إذ منها ما يجعل أوفير فى الهند ، ومنها ما يجعلها فى بلاد العرب . وإذا استبعدنا النظرية الهندية ، لأن السفن فى عصر سليمان كانت أضعف من أن تتجاوز مضيق باب المندب ، فقد تركزت آراء الباحثين حول النظرية الإفريقية والنظرية العربية ويرجح يعقوب بكر أن أوفير تقع فى الجانب الجنوبى الغربى من الجزيرة العربية ، إذ كان أمام سليمان طريقان للحصول على الذهب هما : طريق البر عبر الصحراء وطريق البحر على طول ساحل البحر الأحمر ، فآثر طريق البحر . رغم أن قومه أهل زراعة ورعى ولم يتمرسوا البحار

. ذلك لأن طريق القوافل شاق ، وقد تزيد نفقاته على نفقات الطريق البحرى . ويفترض يعقوب بكر أن الجانب الجنوبى الغربى من الجزيرة العربية هو المصدر الذى يجلب منه سليمان الذهب . ويستدل من الرواية التوراتية أن الذهب أهم سلع أوفير ، ويرد ذكرها فى سفر الملوك الأول ٢٨:٩ (فأتوا إلى أوفير وأخذوا من هناك ذهبا أربعمائة وزنة وعشرين وزنة) ويذكر الذهب وحده أيضا فى أخبار الأيام الثانى ١٨:٨ ، كما يذكر فى الملوك الأول ٤٩:٢٢ . كما ورد " الذهب الأوفيرى " فى أيوب ٢٢ : ٢٤[٣٦] .

وكان يلى الذهب فى الأهمية بين سلع أوفير خشب الصندل ، ويرى بعض الباحثين أنه خشب الأصطرك ، والحجارة الكريمة ، فسفر الملوك الأول ١١:١٠ يذكرهما هما والذهب دون سائر السلع . كذلك لا نجد سوى هذه السلع الثلاث فى سفر أخبار الأيام الثانى ٩ :١٠ ، والحجارة الكريمة سلع عربية أيضا ، وكذلك خشب الأصطرك . ويرى البعض أنه كان ينبت فى بعض أرجاء الجزيرة نبات يشبه الصندل ويقاربه فى الرائحة[٣٧] .

يضاف إلى هذا أن أوفير هو أحد أبناء يقطان ، وأوفير بن يقطان هذا – أى شعب أوفير القحطانى – هو الشعب الذى يسكن أرض أوفير ، فليس هناك أوفيران ، أوفير فى الجزيرة العربية وأوفير فى مكان آخر . وقد يعترض على هذا الرأى : من أن ذهب بلاد العرب كان قليلا بالقياس إلى المقادير الهائلة التى كانت تصل إلى سليمان ويتفق جواد على مع رأى يعقوب بكر فى أن أوفير تقع فى شبه الجزيرة العربية[٣٨] .

ولكن يجب علينا ألا نسلم بقصة أوفير حرفا حرفا ، لأن المبالغة الأدبية واردة فى هذا المجال ، وربما كان الغرض من المبالغة إظهار حملات أوفير وكأنها من حملات الملوك المصريين إلى بلاد بونت . وعن المبالغة فى تقدير دخل سليمان من الذهب ، يذكر سفر الملوك الأول ١٤:١٠–١٥ أن الدخل السنوى المنتظم ٦٦٦ وزنة يساوى حوالى ٢٠٠٠٠ كيلو جرام (يساوى ٤٠٠ قنطار إنجليزى) ، وهو قدر لم يكن العالم القديم كله يستطيع إنتاجه فى سنة واحدة . ويضاف إلى ذلك أن ما كان يأتيه من أوفير كل ثلاث سنوات هو ٤٢٠ وزنة تساوى ١٢٦٠٠ كيلو جرام (يساوى ٢٥٢ قنطارا إنجليزيا) . يضاف أن ما أتت به مملكة سبأ (الملوك الأول ١١:١٠) هو: ١٢٠ وزنة تساوى ٣٦٠٠ كيلو جراما (تساوى ٧٢ قنطارا إنجليزيا) فيكون المجموع ٧٢٤ قنطارا إنجليزيا من الذهب ومع هذا لم يستطع سليمان أن يرد دين ملك حيرام ، فيروى العهد القديم (الملوك الأول ٩: ١١) أن حيرام ملك صور " قد ساعد سليمان

بخشب أرز وخشب سرو وذهب " فأعطاه سليمان مقابل ذلك " عشرين مدينة من أرض الجليل " وهذا يدل على أن موارد سليمان لم تسعفه فى رد الدين ، فتنازل لدائنه عن بعض أرض فلسطين نفسها . إذن لم يكن الذهب الذى يجلبه سليمان من أوفير بالكثرة الخيالية كما صورتها الرواية التوراتية (٣٩).

وفى دراسة أخرى تربط بين بلاد بونت(٤٠) والفينيقيين ، حيث لكل منهما نشاط تجارى فى البحر الأحمر ، فقد مارس الفينيقيون نشاطًا بارزا فى البحر الأحمر خاصة فى العصور المتأخرة لمصر ، ومع ذلك لم تنقطع علاقتهم بمصر وهم يمارسون نشاطهم البحرى فى البحر الأحمر . وقد كان المصريون يستخدمون فى رحلاتهم فى البحر الأحمر سفنا تسمى " سفن جبيل " وقد اقتصرت هذه السفن على الرحلات المصرية فى البحر الأحمر . ورد فى مقبرة "خوى" بأسوان نص يربط بين بونت وبيبلوس ، ولعل ما يعزز هذه الصلة ، ذلك التشابه بين سلع بلاد بونت وبين السلع التى كانت السفن الفينيقية تجلبها من موانئ البحر الأحمر ومنها بلاد أوفير – أى المناطق الجنوبية من الساحل الأفريقى للبحر الأحمر .

ومن أهم السلع التى كانت تجلب من بونت ومن أوفير : الذهب ، وقد أفاضت نصوص البعثات المصرية فى ذكر وفرة الذهب الذى كان يجلب من بلاد بونت ، واحتل مكانا بارزا بين السلع التى جلبتها بعثة حتشبسوت . أما القردة فقد كانت من أبرز السلع التى جلبها المصريون من بلاد بونت كما أسماها المصرى gwi وقد انتشر اللفظ لدى بعض الشعوب التى كانت تشارك فى تجارة البحر الأحمر ومنها اللغة العبرية(٤١) .

وكان العاج فى مقدمة السلع التى تجلب إلى مصر من بونت ، وكان أيضا ضمن سلع أوفير (الملوك الأول ١٠ :٢٢ ، وأخبار الأيام الثانى ٩:٢١) ، وهذا يرجح تحديد موقع أوفير على الساحل الأفريقى للبحر الأحمر ، فإن وفرة الفيلة فى القارة الأفريقية ، لاشك جعل من السهل على الفينيقيين والعبرانيين استيراد العاج من مناطق إنتاجه مباشرة . ومما يعزز هذا الرأى ما ورد فى سفر الملوك الأول بأن رحلات أوفير كانت تتم عن طريق البحر ، بينما ورد أن رحلة سبأ (فى بلاد العرب) كانت تتخذ البحر طريقا (وهذا يبرر أن أوفير كانت تقع فى جهة أخرى من بلاد العرب حيث سبأ – أى فى جهة كان الوصول إليها بالبحر) .

ومن أنواع سلع أوفير والتى تتفق مع سلع بلاد بونت ، الفضة والأحجار الكريمة (وقد وردت هذه المنتجات فى رسوم بهو بونت فى معبد حتشبسوت)(٤٢) . غير أن هناك سلعة من

سلع أوفير تثير مشكلة وهى خشب الصندل ، فإن هذا النبات هندى الأصل ، ولا يوجد لا فى شبه الجزيرة العربية ولا فى المناطق الأفريقية ، وقياسا على رأى يعقوب بكر بوجود نبات فى شبه الجزيرة العربية يشبه خشب الصندل ويقاربه فى الرائحة ، فليس هناك ما يمنع(٤٣) أن يكون نفس الأمر ينطبق على القارة الأفريقية التى تمتاز عن شبه الجزيرة العربية بكثرة أشجارها وتعدد أنواعها ، هذا بالإضافة إلى نصوص رحلة بلاد بونت الى أشارت إلى جلب الأخشاب ذات الرائحة الذكية ضمن سلع هذه البلاد .

من هذا يتضح أن موقع أوفير يقع ضمن مناطق الساحل الأفريقى للبحر الأحمر .

ويرجح د. عبد المنعم عبد الحليم أن أوفير تقع على الساحل الممتد من أريتريا إلى الصومال وخاصة المنطقة الممتدة من خليج زولا (أدوليس) إلى خليج تاجورة حيث تنتشر الموانى الملائمة لرسو السفن الفينيقية والعبرانية . ويقدم عدة أدلة لإثبات هذا الموقع(٤٤) .

ويبدو أن أوفير كانت محطة تجارية لتجميع منتجات القارة الأفريقية حيث تبادل المنتجات المحلية بما تحمله السفن من بضائع يحتاج إليها سكان أفريقيا من ملح وحديد ، وهكذا كان تكديس السفن الفينيقية والعبرانية والسفن المصرية بالمنتجات كالذهب والفضة والعاج والقردة والأخشاب .

وفى حفائر " تل قاصيل " على الضفة الشمالية لنهر " يرقون " عثر على قطعتين أوستراكا بنقوش عبرية ترجع إلى القرن الثامن قبل الميلاد ، تحمل الأولى نقشا يقول :

" للملك ألف (وزنة) من الزيت " . وربما تمثل قائمة بكميات الزيت التى ترسل من قبل الخزائن الملكية إلى أحد الموانئ المصرية أو الفينيقية من تل قاصيل . أما القطعة الثانية فتحمل إشارة إلى ذهب أوفير : " ذهب أوفير إلى بيت حورون ، ثلاثون وزنة " . ويبدو أن بيت حورون كان مركزا إداريا فى مقاطعة افرايم التى كانت مدينة اقتصادية فى عصر سليمان وقد أقيمت عدة قلاع على الطريق الذى يبدأ من السهل حتى الجبال التى تقع بين مملكة يهوذا ومملكة إسرائيل . ومع ذلك لا يمكننا أن نغفل أن بيت حورون كانت تتضمن معبدا كنعانيا للمعبود حورون ، وكان يعبد فى فلسطين منذ القرن الثانى قبل الميلاد ، وقد استمرت عبادة هذا المعبود على الساحل الفلسطينى حتى العصر الهيلينستى كما يشير هذا النقش إلى أن عبادة حورون من قبل الفلسطينيين والفينيقيين استمرت فى تل قاصيل والمدن المجاورة لها شكل (٥)(٤٥) .

٣- ترشيش

أنشأ سليمان خطا بحريا آخر ينتهى بأرض اشتهرت بالذهب كذلك ، سميت فى التوراة (ترشيش) . وقد استعان سليمان بمدربين وملاحين من صور أمده بهم حيرام ملك صور ، وكان الأسطول يذهب مرة كل ثلاث سنوات وأما البضائع التى تعود بها من ترشيش فهى الذهب والفضة والعاج والقردة والطواويس . ولم يتفق الرأى على تعيين موضع ترشيش فيرى البعض أنها فى أفريقية ، ويرى آخرون أنها فى مكان ما من سواحل أسبانيا الجنوبية ، ويرى البعض أنه فى أسبانيا ، وكانت سفن صور تتاجر مع ترشيش وتربح من هذه التجارة ربحا وفيرا كما جاء فى التوراة(٤٦) .

وترى الباحثة أن اسم ترشيش يقترب من اسم أحد عناصر شعوب البحر وهم التورشا الذين جاءوا من المنطقة التى عرفت فيما بعد باسم ليديا (غرب الأناضول) ومنها هاجر التورشيون إلى وسط إيطاليا ، وربما حرف اسمهم إلى تاروشا ثم الأتروسكيين سكان روما القدامى(٤٧) .

ويتضح أن سليمان استعان بخبرة الفينيقيين فى تجارة البحر المتوسط ويبدو أن العبرانيين لم يتعلموا ، الخبرة الفينيقية البحرية ، إنما اعتمدوا عليهم اعتمادا كبيرا ، ويتضح ذلك عندما أقدم أحد خلفاء سليمان بعد وفاة سليمان على بناء أسطول جديد فى عصيون جابر ليسير إلى ترشيش ، غير أن مأربه لم يتحقق إذ تكسرت السفن ولم تستطع السير إلى ترشيش . وهذا يوضح أن العبرانيين لم يكونوا قد أتقنوا بناء السفن والسير بها فى البحار ، فأخفقوا ، بأن نجاح سليمان فى الوصول إلى أوفير وترشيش مرده إلى خبرة ومهارة الفينيقيين(٤٨) . ورغم أن أسماء داود وسليمان لم يردا فى النصوص المصرية ، إلا أن الشواهد الأثرية تشير إلى أن المدن التى افترض أن سليمان أقامها فى فلسطين ومنها حازور ومجدو وجازر فإن سماتها المعمارية من أسوار ومداخل ثلاثية وتكنات الموظفين تشير بجدية إلى النموذج المعمارى المصرى السائد فى ذلك العصر(٤٩) .

حملت ششنق الأول على فلسطين (الأسرة الثانية والعشرون ٩٥٠-٧٣٠ ق.م.)

من أهم الأحداث فى عهد الملك ششنق الأول (٩٥٠-٩٢٩ ق.م.) غزو سوريا العليا

وفلسطين ، وقد جاء ذكر هذه الحملة فى الكتاب المقدس ، فنجد فى سفر الملوك الأول ، الفصل الرابع عشر ، الجزء الثانى من التأريخ ، الفصل الثالث عشر أنه : " فى السنة الخامسة من حكم مربعام جاء ششاق – هكذا يسمى فى التوراة – ملك مصر ليهاجم القدس بألف ومائتى مركبة حربية وستين ألف فارس ، وخرج من مصر ومعه شعب لا يمكن حصره من الليبيين والسوقيين والأثيوبيين ، واستولى على المدن المحصنة التى كانت ملكا ليهوذا ووصل القدس واستولى على خزائن بين الأبدية وخزائن بيت الملك ، وأخذ كل شئ ، وأخذ كل الدروع من الذهب التى صنعها سليمان " .

كانت حملة ششنق الأول تهدف إلى إحياء الأمجاد المصرية فى غربى آسيا ، وكانت الأمور قد بدأت تسير فى هذا الاتجاه منذ عصر الأسرة الحادية والعشرين كما رأينا من قبل ، وهناك ما يشير إلى أن ششنق وخلفاءه قد أعادوا العلاقات التجارية مع أمراء جبيل ، وقد أهدى ششنق الأول تمثالا جالسا له إلى معبد سيدة جبيل ، أما فى الجنوب فهناك ما يشير إلى إرسال حملة للحصول على احتياجات آمون فى الكرنك . وهذا يرجع عودة العلاقات التجارية ، وقد تحقق ذلك عام ٩٢٥ ق.م. تقريبا ودخل أورشليم واستولى على خزائن معبدها الرئيسى بعد تسليم رحبعام له تجنبا لأى تخريب قد يلحق بالعاصمة ومعبدها ، ثم يقفل ششنق عائدا لمصر ليخضع فى طريق العودة مدن مجدو ومجاوراتها فى سهل جزريل(٥٠) .

تتطابق السنة الخامسة من حكم يربعام الذى خلف سليمان فى عام ٩٢٩ ق.م. مع السنة الحادية والعشرين من حكم ششنق ، وكان الجيش المصرى يضم فى تلك الفترة قوات مرتزقة من الليبيين والسوقيين الذين قد يكونون قبائل من شرق الدلتا ، أما الأثيوبيون فهم قبائل من بلاد النوبة السفلى الذين أطلق عليهم الكوشيين والذين أمدوا فى كل الأوقات الجيش المصرى بأفضل عناصره المقاتلة(٥١) .

وعندما عاد ششنق منتصرا إلى مصر ، سجل بالنقوش قصة انتصاره على الجدران الجنوبية الخارجية ليهو الأعمدة الكبير فى معبد الكرنك . ويظهر فى منظر فوق رؤوس الأسرى الذين يمثلون أهالى مائة وست وخمسين مدينة فلسطينية تقع على الحدود الجنوبية لأرض يهوذا شمال الجليل(٥٢) .

وعادت حملة ششنق على فلسطين بفوائد شتى ، فاستعادت مصر بها جانبا من مجدها القديم ، واستعادت سعة صلاتها بالمدن الفينيقية ، واستحب بعض حكام المدن الفينيقية أن

يقيموا التماثيل والنصب بأسماء ملوك مصر فى معابدهم ومنها تماثيل لكل من ششنق الأول واسركون الأول واسركون الثانى . وأفاضت الحملة على مصر فى الوقت نفسه غنائم وثروات استغلها ملوك الأسرة ٢٢ فى مواصلة الترف القديم وزيادة مبانى المعابد(٥٣) . وأعـاد هذا الملك لمصر بعض سيطرتها القديمة التى كانت على عهد أسلافة المحاربين منذ النصف الثانى من الألف الثانى قبل الميلاد .

أهم المدن التى ورد ذكرها فى نص ششنق الأول

يصف كيتشن قائمة ششنق الأول(٥٤) ، فيذكر أن القائمة تتكون من عشرة صفوف من الأسماء ، كتبت خلف المعبود آمون ، بينما هناك صف حادى عشر يمتد أسفل الجزء الخاص بالملك . ويرى كيتشن أن هذه السلسلة الطويلة من الأسماء لا تشكل تسلسلا جغرافيا فى مجملها ، إلا أن بعضها يشير إلى طريق جغرافى موحد (شكل ٣) .

ويقدم كيتشن توزيعا جغرافيا كما يلى :-

الصف العلوى قائمة تمهيدية للأعداء التقليديين لمصر (الأقواس التسعة) ، ثم يعطى نقطة بداية الحملة إلى فلسطين وهى غزة إن لم تكن Makkedah أو Rubuti . أما الصف الثانى فيحتوى على ثلاثة قطاعات يمكن تمييزها :

أ- من وادى اسدراليون إلى رحوب (تل الساريم) .

ب- يستمر الامتداد عبر الأردن إلى ماهانيم .

ج- قطاع منفصل يمتد من وادى اجالون حتى جيبون بالقرب من أورشاليم .

وهكذا فإن الصف الثانى فى (ج) يكمل المعلومات فى الصف الأول ، بينما الصف الثانى (أ) و (ب) يمثلان الجزء الشمالى الشرقى من حملة ششنق ثم يقدم الصف الثالث :-

١- جزء من الطريق من مجدو جنوبا إلى Socoh وما وراءها .

٢- جزء يمثل الطريق من مجدو إلى جنوب غرب الجليل .

أما الصف الرابع والخامس فإن جزئيهما يمثلان :

١- طريق عبر الأردن بين ماهانيم وأدوم .

٢- طريق من زيماريام (شمال أورشليم) حتى تيرزان والوادى (اسدارليون) .

وبعد ذلك فالصفوف من التاسع حتى العاشر ترتبط بجنوب يهوذا ومناطق النقب ، بينما الصف الحادى عشر من رفح متجها مع الطريق الساحلى إلى مصر .

وهكذا نجد الصف الرابع الذى كان يحتوى على ثلاثة عشر اسما لمواقع ، فقدت كلها باستثناء اثنين فقط أحدهما (رقم ٤٠) لا يمكن تحديده تماما ، والموقع الثانى غامض (بيت سبا؟) وهناك عشرة أسماء أخرى ، كلها فقدت باستثناء بقايا غير مقروءة ولا نستطيع معرفة أى بيت من فلسطين كانت ترتبط به هذه الأسماء . وقد يثار تساؤل حول عدم ذكر لمدينة أوأورشاليم فى قائمة ششنق ، والإجابة بسيطة وتشمل :

أولا : من المحتمل أن أورشاليم قد استسلمت لششنق الأول قبل قيام الحملة وقامت بدفع الجزية ، فلم يتم غزوها بالقوة وبالتالى لم يأت ذكرها فى القائمة .

ثانيا : من المحتمل أن اسم أورشاليم ذكر فى القائمة ولكن ضاع فى الأجزاء المهشمة منها فهناك ثمان أسماء مفقودة بالكامل قد تكون أورشاليم واحدة منها وعليه فإن قائمة ششنق الأول إما أنها لم تعد فى حاجة إلى وضع اسم أورشاليم فى المكان الأول ، أو قد ذكر فى الصف الرابع المهشم .

وجدير بالذكر أن التوراة تتحدث فقط عن غزو يهوذا جنوبا بينما قائمة ششنق تركز على مدن إسرائيل شمالا . فالمواقع الشمالية التى أخضعها الملك المصرى تشتمل على صفين كاملين فى القائمة هى الصف الثالث والخامس وجزء من الصف الثانى . بينما الصف الرابع مهشم ، وغير مقروء أساسا . وعلينا أن نأخذ فى الاعتبار أن الروايات التوراتية كتبت من وجهة نظر مملكة يهوذا وبالتالى فهم لم يهتموا بما حدث لجيرانهم فى الشمال ، لذا فإن قائمة ششنق أصدق قولا فى اجتياح الملك المصرى لهاتين المملكتين الصغيرتين : يهوذا وإسرائيل(٥٥) .

وفى محاجر جبل السلسلة التى أخذت منها أحجار البناء لتشييد بهو الأعمدة الكبير فى الكرنك والبوابة الرئيسية ، عثر على نقش رقم (١٠٠) مؤرخ بنهاية العام الحادى والعشرين من حكم ششنق الأول . مما يشير إلى أن الحملة نفسها قد قامت بالفعل فى خريف هذا العام نفسه ، حيث كان من نتيجة هذه الحملة تزويد المعابد المصرية بالغنائم العديدة(٥٦) .

ويرد فى نقش جبل السلسلة أن الملك ششنق الأول أمر بإعادة فتح محاجر جبل السلسلة لبدء مشروعات الملك الإنشائية ، من أجل إقامة العمائر الدينية للإله آمون رع الذى يمنحه مزيد من سنوات الحكم ، كما يتضح من النقش أن الملك ومعه ولى العهد (ابنه الذى كان يحمل لقب الكاهن الأول لآمون رع) قاما بافتتاح هذا المشروع وذلك فى العام الحادى والعشرين من حكم ششنق الأول ، حيث تقوم الآلهة برعاية وحماية هذا المشروع واختيار أحسن المواقع فى محاجر السلسلة من أجل إقامة العمائر العظيمة فى معبد آمون رع .

وجدير بالذكر أن النقش يحتوى على عبارة " إن الملك أعطى تعليماته من أجل بناء الصرح العظيم " . ويبدو أن العام الحادى والعشرين كان العام الأخير من حكم ششنق وهو ٩٢٥ ق.م. حيث ذكر مانيثون أن مدة حكم ششنق الأول هى واحد وعشرون عاما . ويبدو أن ششنق الأول أعطى أوامره إلى مهندسه المعمارى " حر – م – ساف " لإعادة فتح المحاجر فى جبل السلسلة من أجل إنشاء مبنيين رئيسيين فى المعبد الكبير لآمون رع بالكرنك ، ويفترض أنهما الصرح والأعمدة . وقام الملك بتقديم هدايا الذهب والفضة لكبار الموظفين المشرفين على المشروع تقديرا لجهودهم . ويتضح من ذلك أن البوابة البوباسطية كانت جزء من المشروع الأساسى الذى بدأه ششنق الأول ، أما عبارة " الصرح العظيم " التى وردت فى نص جبل السلسلة فتشير إلى المدخل الرئيسى للمعبد كله(٥٧) .

ويـــرى John Wilson(٥٨) أن النصوص المصرية لم تكن كافية لتغطية تفاصيل حملة ششنق الأول على فلسطين ، مما يجعل نص ششنق يبدو كما لو كان سرد لخط سير الرحلة أكثر منه نصا روائيا للحملة التى قادها الملك(٥٩) . ومع ذلك يتضمن النص عبارات مثل : " جزى الأراضى السورية " و " الأسيويون فى البلاد الأجنبية " كما يذكر الملك أنه قام بالحملة إرضاءا للإله آمون : " أحضرت للإله ، الأسيويين من جيوش ميتانى " . وهناك وثيقتان عثر عليهما فى الأراضى الآسيوية تؤكدان حملة ششنق ، ففى مجدو عثر على لوحة جنائزية تحمل اسم الملك ششنق الأول تشير إلى أن الملك بنفسه أقام احتفالا بالنصر هناك . وفى جبيل عثر على مقعد لتمثال جالس يحمل اسم الملك ، ويبدو أن هذه القطعة كانت هدية من أمراء المنطقة.

كما يوجد فى بلتيمور " Walters Art Gallery " تمثال من البازلت لشخص مصرى نقش عليه : " مبعوث إلى كنعان وفلسطين بادى ايست ابن أيب " وربما رجع هذا التمثال إلى

عصر الأسرة الثانية والعشرين ، وهذا يؤكد عودة العلاقات الدبلوماسية بين مصر وكنعان(٦٠).

مما سبق يتضح أن :-

- تاريخ العبريين هو من الناحية السياسية فترة متواضعة الأهمية إذا قورن بتاريخ الإمبراطوريات الكبرى فى الشرق الأدنى .
- إمكانيات الأسرة الحادية والعشرين الاقتصادية كانت محدودة ، حيث انكمشت العاصمة تانيس إلى نصف مساحتها السابقة .
- التحالف بين سيا أمون وسليمان كان يحقق لكل منهم غرضا اقتصاديا ، فمصر فى حاجة إلى اكتساب امتيازات اقتصادية فى فلسطين ، وسليمان يأمل أن يكون لدولته منفذ على البحر المتوسط عن طريق القضاء على مدينة جازر .
- استعان سليمان بخبرة المدن الفينيقية فى إنشاء أسطول تجارى بحرى .
- استولى سليمان على الأسواق التجارية القديمة فى البحر الأحمر وحرم مصر من موارد التجارة الخارجية .
- استطاع سليمان نتيجة تحالفه مع مصر ، إنشاء ميناء عصيون جابر على خليج العقبة حيث أنشأ مصانع لإنتاج النحاس والحديد مستغلا اتجاه الرياح ، ويبدو أن النحاس كان يأتى إليها من المناجم الغنية فى طور سيناء .
- وصلت سفن سليمان إلى ميناء أوفير لإحضار الذهب ، الرواية التوراتية بالغت فى إظهار حملات أوفير وكأنها أبهى من حملات الملوك المصريين إلى بلاد بونت .
- تشابه السلع التى جلبتها سفن سليمان من أوفير مع السلع التى كانت مصر تجلبها من بلاد بونت وهى الذهب والعاج والقردة والأخشاب والفضة والأحجار الكريمة وتكاد تقع فى المنطقة التى تشمل الصومال حتى خليج عدن .
- أوفير كانت محطة تجارية لتجميع منتجات القارة الأفريقية .
- سار سليمان على نهج الملوك المصريين من تقديم الهبات والهدايا إلى المعابد الأخرى ، مثل معبد حورون حيث كان يقدم له ذهب أوفير .

- ميناء ترشيش ربما كان المنفذ لتجارة سليمان على البحر المتوسط الذى أتاحه له الملك المصرى .

- حملة ششنق الأول على فلسطين أعادت سيطرة مصر على التجارة الخارجية فى غرب آسيا ، وعادت العلاقات التجارية بين مصر والمدن الفينيقية .

- سياسة الملك ششنق الأول تختلف عن سياسة سيا آمون تجاه الشرق ، فكان يرى أن صالح مصر السياسى والاقتصادى ليس مع التحالف مع الكيانات القائمة فى تلك المنطقة لأنها تمثل عائقا لا يستهان به أمام ازدهار العلاقات المصرية السورية ويقلل من الثروة المصرية لحساب مملكة سليمان ، فزحف بقواته لإخضاع المنطقة عسكريا .

فترات حكم ملوك مصر المعاصرة لسليمان وابنه

الأسرة الواحدة والعشرين	سليمان	٩٧٠ - ٩٣٠ ق.م.
	سيا آمون	٩٧٩ - ٩٦٠ ق.م.
حملة سيا آمون ←		العقد الأول من عهد سليمان والعقد الأخير من عهد سيا آمون = ٩٦٧ ق.م.
الأسرة الثانية والعشرين	ششنق الأول	٩٤٥ - ٩٢٤ ق.م.
	رحبعام	٩٣٠ - ٩١٣ ق.م.
حملة ششنق الأول ←	السنة الخامسة من حكم رحبعام	= ٩٢٥ ق.م.
←	السنة ٢١ من حكم ششنق	

شكـــل (١)

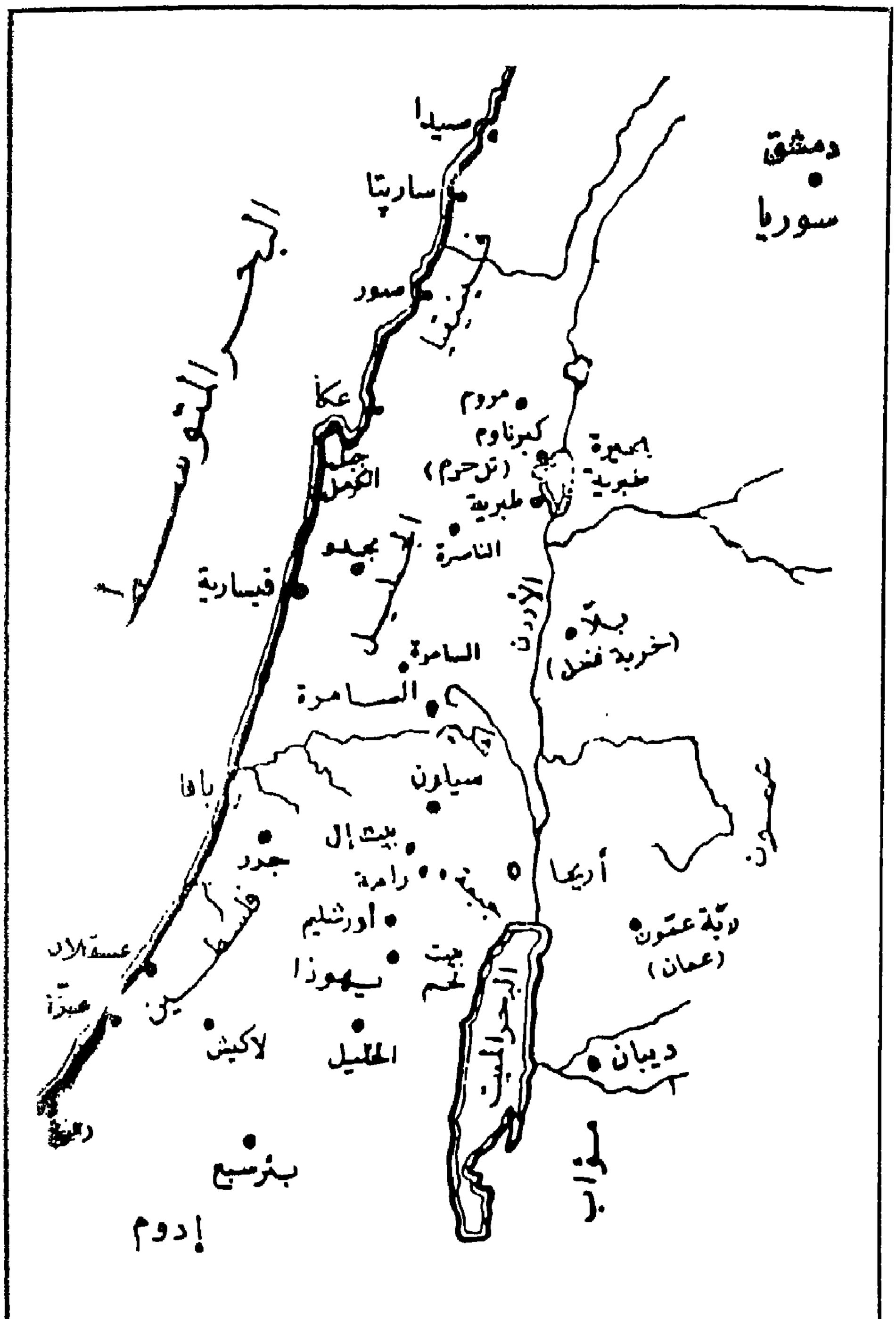
دمشق
سوريا
صيدا
سارپتا
صور
عكا
مرجوم
كبرناوم
(تل حوم)
بحيرة طبرية
طبرية
الناصرة
جنين
قيسارية
السامرة
بلاة
(خربة فصل)
الأردن
سيلون
بيت إل
رامة
جدرد
أريحا
أورشليم
بيت لحم
يهوذا
الخليل
لاكيش
ربة عمون
(عمان)
ديبان
بئرسبع
إدوم

شكل (٢) فلسطين

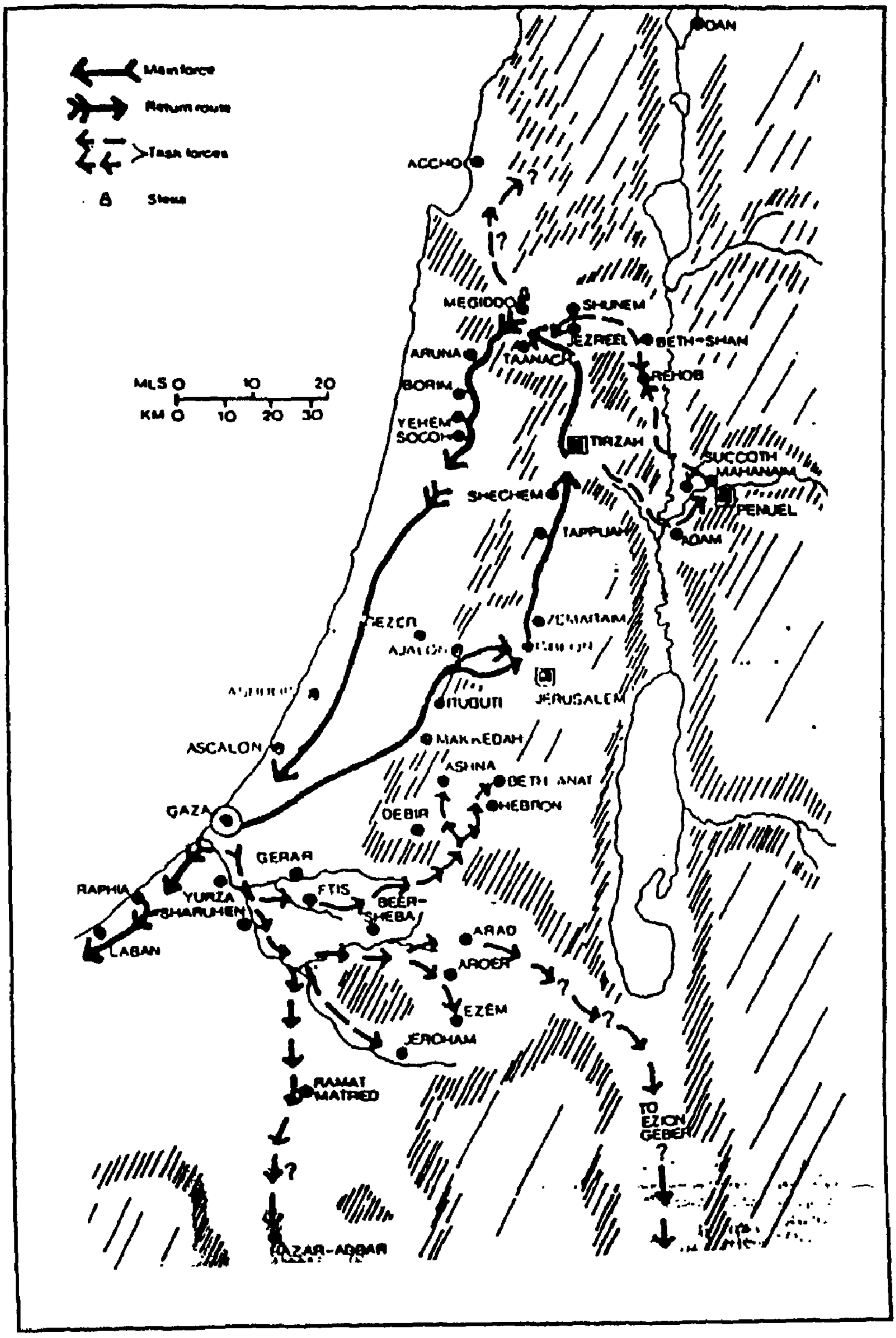

شكل (٣)

Course of the Palestinian Campaign of Shosheng I. O.925.13.C.

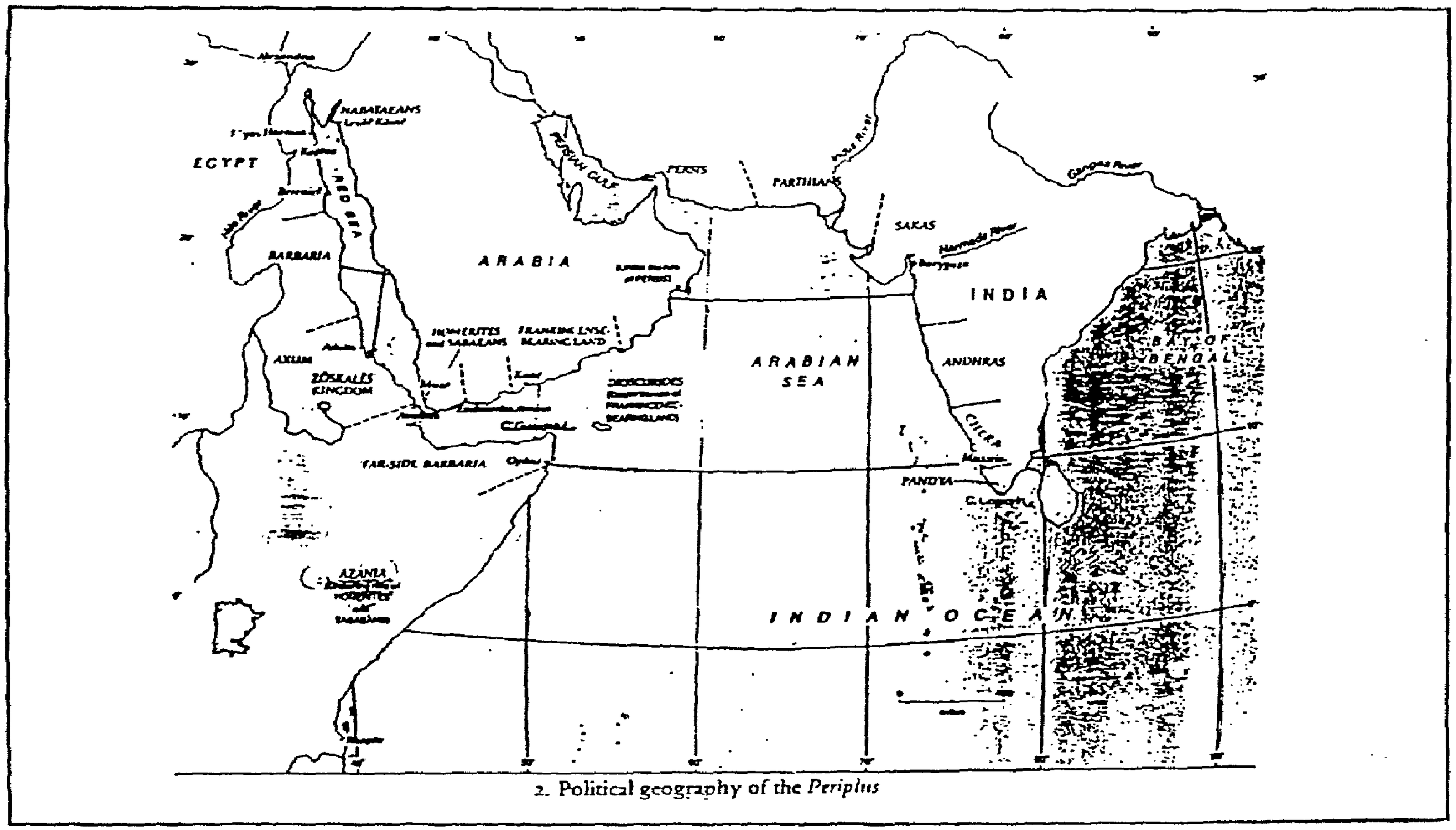

2. Political geography of the *Periplus*

هكل (٤)

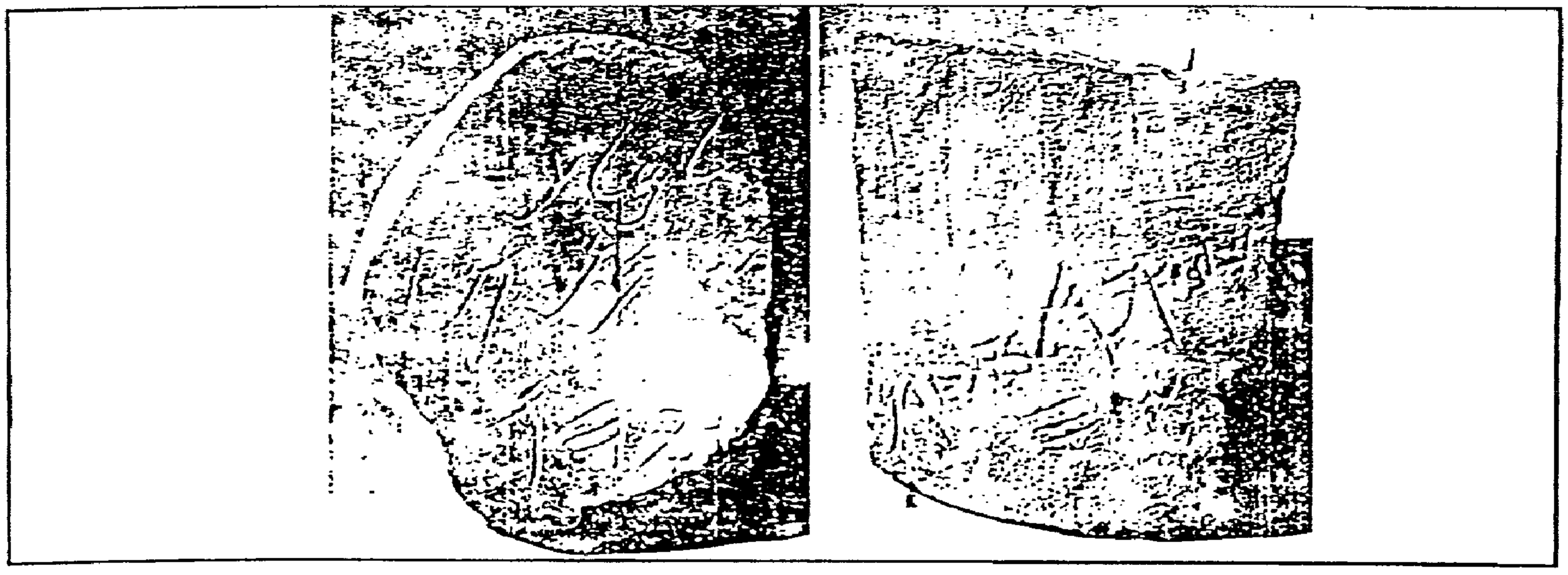

شكل (٥)

HERREW OSTRACA FROM TELL QAILE

A OSTRACON NO.1

B OSTRACON NO.2

الهوامش

١- سبتينو موسكاتي : الحضارات السامية ، ترجمة السيد يعقوب ، القاهرة ، ١٩٩٧ ، ١١٠ .

٢- Kitchen, K, The Third Intermediate Period in Egypt, warminster, 1986, 493.

٣- عبد العزيز صالح : مصر والعراق ، القاهرة ١٩٨٧ ، ٢٦٥ .

٤- نجيب ميخائيل : مصر من قيام الدولة الحديثة إلى دخول الإسكندر ، جـ٢ ، الإسكندرية ، ١٩٦٢ ، ٣١٧ ؛ Kitchen, K.A, op. cit, 280.

٥- Redford. B.R., Egypt, Canaan, and Israel, Cairo, 1993, 310.

٦- رمضان السيد : تاريخ مصر القديمة ، جـ٢ ، القاهرة ١٩٩٣ ، ٢٢٥ .

يرى د. عبد العزيز صالح أن تحديد اسم الملك لازال فى مرحلة الفروض ، فهو قد يكون أحد الاثنين السابق ذكرهما ، أو قد يكون أول ملوك الأسرة الثانية والعشرين : عبد العزيز صالح : مصر والعراق ، القاهرة ١٩٨٧ ، ٢٦٥ .

٧- عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ٢٦٥ .

٨- Kitchen, K.A, op. cit, table 12 , 479.

٩- نجيب ميخائيل : المرجع السابق ، ٣١٧ .

١٠- تحفة أحمد حندوسة : الزواج والطلاق فى مصر القديمة ، القاهرة ، ١٩٩٨ ، ٢٨ .

١١- Kitchen, K.A, op. cit, 276, 282.

١٢- Redford, B.R, op. cit., 311.

١٣- أحمد أمين سليم وسوزان عباس عبد اللطيف : تاريخ مصر الفرعونية ، الإسكندرية ، ١٩٩٧ ، ٢٩٢ .

١٤- حسن ظاظا : القدس مدينة الله ... أم مدينة داود ، الإسكندرية ، ١٩٧٠ ، ٣٨ .

١٥- Maisler, B, Two Hebrew Ostraca from Tell Qasile, JENS, X, 1951, 267.

١٦- عبد الحميد زايد : الشرق الخالد ، القاهرة ، ١٩٦٧ ، ٣٨٧ .

١٧- محمد بيومى مهران : جـ٣ ، الإسكندرية ، ١٩٨٨ ، ٦٠٩ .

انظر : Chen, S., Solomon and the Daughter of pharoah: intermarriage Conversion and the Impurity of woman, JENS, 1984/85, 37.

١٨- نجيب ميخائيل : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص ٣١٦ .

قام ششنق بنقل قاعدة الملك من تانيس إلى بوباستة التى رأى أنها تفضل تانيس من نواحى عدة ، أنظر : إبراهيم محمد كامل : إقليم شرق الدلتا فى عصوره التاريخية القديمة ، جـ٢ ، القاهرة ، ١٩٨٥ ، ١٤٩-١٨١ .

سليم حسن : مصر القديمة ، جـ٩ ، القاهرة ، ١٩٩٤ ، ٥١٧-٥١٩ .

١٩- Montet, P., Les Constructions et le Tombeau d'Osorkon II á de Tanis, 1947, (La Nécropole Royale Tains, l) 36, pl. 1, 9A'; Kitchen, K.A., op. cit, 280-281.

٢٠- محمد بيومى مهران : مصر ، جـ١ ، الإسكندرية ، ١٩٨٨ ، ٦٠٩-٦١٠ .

٢١- عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٣٨٩ .

حفلت النقوش الجدارية بالعديد من مناظر قهر الشعوب الأجنبية منذ عصور ما قبل الأسرات وحتى العصور المتأخرة ، وهى تسجل الأحداث التاريخية بالإضافة إلى نوعية العقوبات التى ينزلها الملك على الشعوب الأجنبية ، أنظر :

Ivery, J., Crime and Punishment, (in) Egyptian Art principle and Themes in Wall Scenes, Prism Egypt, 2000, 207-223.

٢٢- Kemp, B., Ancient Egypt: A social History, Cambridge, 1989, 226-232.

Malemat, A., Aspects of the forgien Policies of Dawid and Solomon. JENS, 22/1, 1963, 1-17.

Waterman, L., The Treasuries of Solomon's Private chapel, JENS, 6, 1947, 161-163.

٢٣- Kitchen, K.A, op. cit, 282; Redford, D.B. op, cit., 310; Malamat, A., JENS, 22, 10-17.

إبراهيم محمد كامل : المرجع السابق ، ١٤٩-١٨١ .

٢٤- تقع عند رأس خليج العقبة عند تل الخليفة حاليا ، وكانت تسمى قديما عصيون جابر ثم أطلق عليها بعد ذلك إيلات ولما أتى الرومان أسموها أيلة :

انظر: عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٣٨٨ .

٢٥- Albright, W.F., The Archaeology of PALASTINE, Pengeuim Books;, Haramonds-worth, 1949, 44, 127-128

٢٦- سبتينو موسكاتى : الحضارات السامية ، ترجمة السيد يعقوب ، القاهرة ، ١٩٩٧ ، ١١٥ -١١٦ .

٢٧- جواد على : المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ، جـ١ ، بيروت ، بغداد ، ١٩٧٦ ، ٦٣٨ .

٢٨- سليم حسن : مصر القديمة ، جـ٩ ، القاهرة ، ١٩٩٤ ، ٥١٦ .

٢٩- Glueck, N., M River in the Desert, New York. 1959, 162.

٣٠- جواد على : المرجع السابق ، ٦٨٣ ، Redford, D.B. op, cit., 328 .

٣١- لطفى عبد الوهاب : العرب فى العصور القديمة ، الإسكندرية ، ١٩٩٧ ، ٣٢٥ ؛ LÄ, V, 370

٣٢- جواد على : المرجع السابق ، ٦٣٧ .

٣٣- جورج فضلو حورانى : العرب والملاحة فى المحيط الهندى ، ترجمة السيد يعقوب بكر ، القاهرة ، ١٩٥٨ ، ١٥١-١٦٠ .

٣٤- Oxford Bible Atlas, trans. By Herbert G., and others , London, Oxford, 1968 , 66 .

٣٥- عبد المنعم عبد الحليم سيد : دراسة تاريخية للصلات والمؤثرات الحضارية بين حضارة مصر الفرعونية وحضارات البحر الأحمر ، رسالة دكتوراه ، جامعة الإسكندرية ، ١٩٧٣ ، ٢٠٢ .

٣٦- جورج فضلو حورانى : المرجع السابق ، ١٥٢-١٥٣ .لطفى عبد الوهاب : المرجع السابق ، ٣٣٥-٣٣٦

٣٧- جورج فضلو حورانى : المرجع السابق ، ١٥٣-١٥٤ .

٣٨- جواد على : المرجع السابق ، ٦٣٨ .

٣٩- جورج فضلو حورانى : المرجع السابق ، ١٥٨-١٦٦ .

٤٠- بلاد بونت : كان لها مدلول عام عند المصريين جنوبا على طول الساحل الأفريقى للبحر الأحمر .

٤١- عبد المنعم عبد الحليم سيد : المرجع السابق ، ص ٢٠٢ -٢٠٣ ؛ Faulkner, R.O., CD., 288

٤٢- سليم حسن : مصر القديمة ، جـ٤ ، القاهرة ، ٢٠٠٠ ، ٣٢٦ ؛ Naville, D. Bahari, Pl. 81

٤٣- عبد المنعم عبد الحليم سيد : المرجع السابق ، ص ٢٠٥ .

٤٤- عبد المنعم عبد الحليم سيد : المرجع السابق ، ص ٢٠٧ .

٤٥- Maisler, B., Two Hebrew Ostraca from Tell Qasile, JENS, X, 1951, 265-267.

٤٦- جواد على : المرجع السابق ، ٦٤٠ ؛ LÄ, V, 370

٤٧- Wainwright, G., the Teresh, The Etruscans and Asia Minor, Antolian Studies, 9, 201 ff. ;

Id., JEA, 47, 1961, 83 ff. ; Sanders, N.K., Sea Peoples, London, 1978, 111 ff.

٤٨- جواد على : المرجع السابق ، ٦٤٠-٦٤١ .

٤٩- Redfold, D.B., Egypt, Canaan and Israel, Cairo, 1993, 310;

انـظـر : Bienkowski, P., The Role of Hazor in the late Bronze Age, PEQ, 1987, 50-51.

٥٠- Kitchen, K.A., The third Intermediate Period, 1996, 293-300. fig.2;

رمضان السيد : المرجع السابق ، ٢٣٣ ؛ عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ٢٨٦ ؛

محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، ٦١٤-٦١٥ ؛

Simons, J., Hand book for the study of Egyptian Topographical Lists Relating to Western Asia, Leiden, 1937, 89-102.

٥١- رمضان السيد : المرجع السابق ، ٢٣٣-٢٣٤ .

٥٢- انظر: Braguet, Le Temple d'Amon-Re à Karnak, 1962, 48-49;

Legrain, Karnak, 54-62; University of Chicago, Oriental Institute Publ. 74, Relief and Inscriptions at Karnak III, 74; PM, VII, 381.

٥٣- عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ٢٨٦ ؛ PM, VII, 388

Redford, D,B., Op. Cit., 334.

٥٤- PM, Thebant Temples, II, Oxford, 1991, 34-35.

٥٥- Kitchen, K.A., Jerusalem in Ancient Egyptian Documentation ; in Bienkouski, P., The Jordan Volume: Apre- Islamic Jerusalem, London (Forth Coming) , 16.

٥٦- رمضان السيد : المرجع السابق ، ص ٢٣٤ ؛ عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ٨٥٧ ؛

Cominos R.A., Gebel Es - Silsilah No. 100, JEA, 38, 1952, 46-61, Pl. 10-13.

٥٧- Cominos R,A., op. Cit., 50, 59-60.

٥٨- Pritchard, J.B., Ancient Near Easternt Texts, New Jersey, 1969, 263-264.

٥٩- Olmstead, A.T., History of Palastine and Syria, New York, 1931, 354-56; Yeivin, S., JEA, XVIII, 1962, 75-80.

٦٠- Steindorff, G., JEA, XXV, 1939, 30-33;

Malamat, A., The Kingdom of David & Solomon in its Contact with Egypt and Aram Naharain, XXII, 1963, 96-104;

Helck, W., Geschichte Des Atlen Ägypten, Leiden, 1968, 217-221.